

ماري كوري

خاتمة الإنسانية

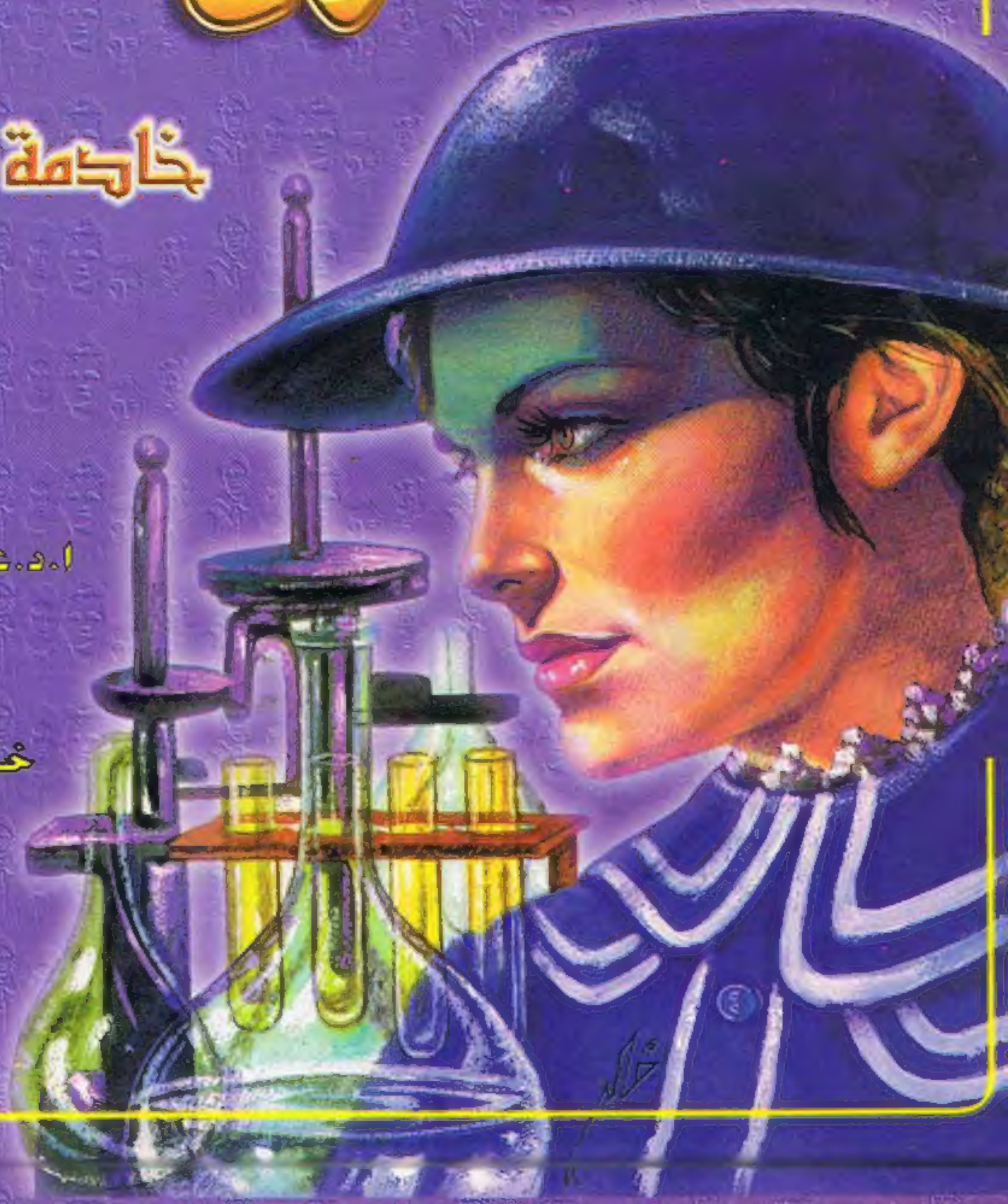
تأليف

أ.د. علي عبد المنعم

رسم

خالد عبد العاطي

سفير



نساء في القمة

ماري كوري

خاتمة الإنسانية



تأليف

أ.د. علي عبد المنعم

رسوم

خالد عبد المعطي



جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لشركة **سقيم**

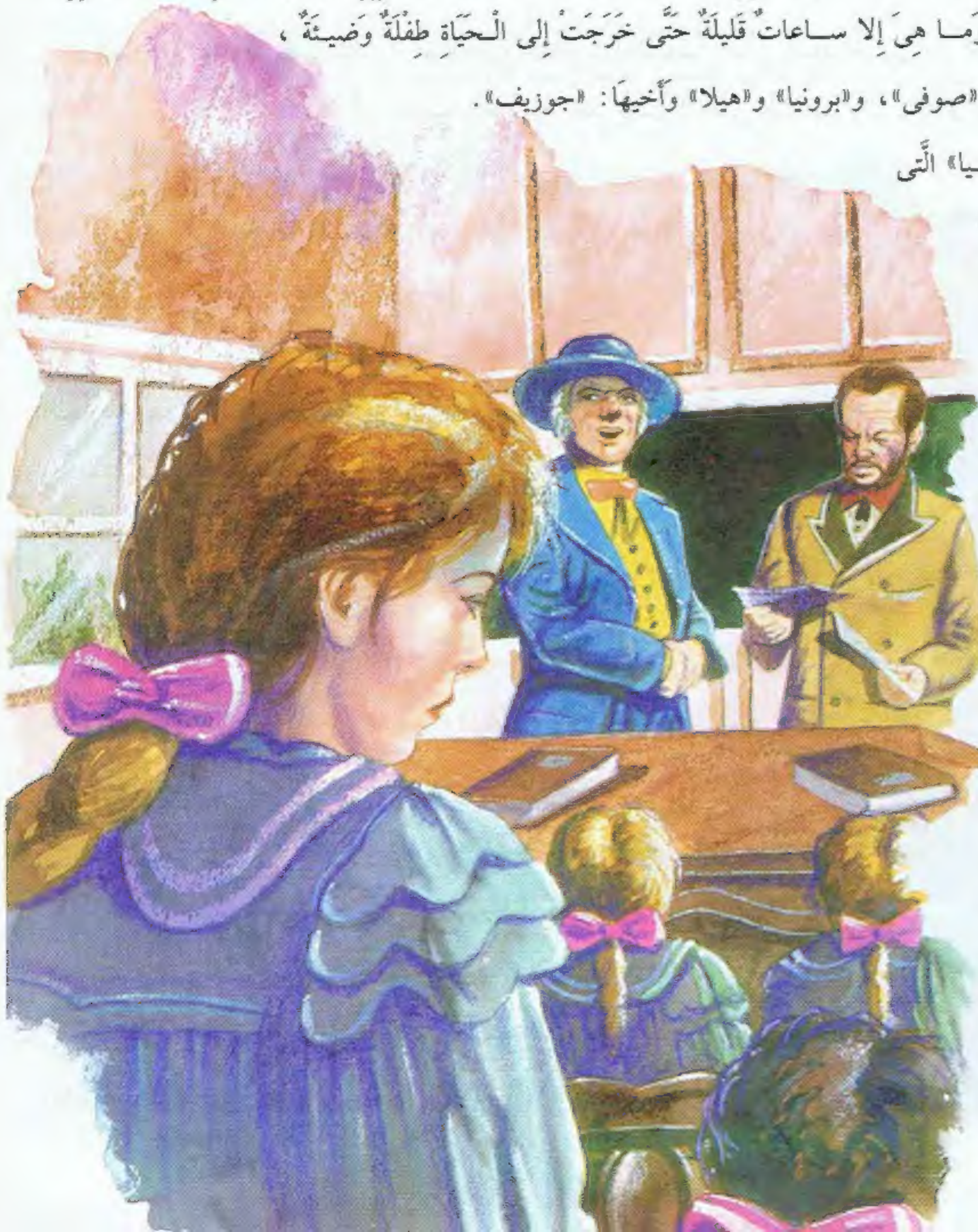
رقم الإيداع : ٩٧ / ٥٣٩٥

الترقيم الدولي : ISBN 977-261-522-2

أُشْرِقَتْ شَمْسُ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ أَكْتُوبَرِ عَامِ ١٨٦٧م، وَرَاحَ السَّيِّدُ «سَكْلودوفسكا» مُدَرِّسُ الطَّبِيعَةِ يَتَهَيَّأُ لِلْخُرُوجِ إِلَى عَمَلِهِ، وَلَكِنَّهُ سَمِعَ فِي الْحُجْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ أُنْيَا وَصُرَاخًا؛ فَقَدْ كَانَتْ زَوْجَتُهُ -رَئِيسَةُ مَعْهَدِ الْبَنَاتِ- حَامِلًا فِي أَيَّامِهَا الْأَخِيرَةِ، وَيَبْدُو أَنَّ آلامَ الْوَضْعِ قَدْ فَاجَأَتْهَا. لَمْ يَسْتَطِعِ السَّيِّدُ «سَكْلودوفسكا» مُغَادَرَةَ مَنْزِلِهِ قَبْلَ أَنْ يَطْمَئِنَّ عَلَى زَوْجَتِهِ، وَيَعْهَدَ بِهَا إِلَى يَدِ خَبِيرَةٍ مُدَرِّبَةٍ. وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَاتٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى خَرَجَتْ إِلَى الْحَيَاةِ طِفْلَةً وَضِيئَةً، هِيَ «مَانِيَا»، جَاءَتْ بَعْدَ أَخَوَاتِهَا: «صُوفِي»، و«بَرُونِيَا» و«هِيَلَا» وَأَخِيهَا: «جُوزِيف».

كَانَ ذَلِكَ فِي مَدِينَةِ «فَارَسُوفِيَا» الَّتِي تُسَمَّى الْآنَ «وَارَسُو» عَاصِمَةَ «بُولَنْدَا»، الَّتِي كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْحِينِ وَاقِعَةً تَحْتَ سَيِّطَرَةِ الْإِسْتِعْمَارِ الرُّوسِيِّ.

فِي هَذَا الْجَوِّ الْمَشْحُونِ بِالتَّوَتُّرِ نَشَأَتْ «مَانِيَا»، وَكَانَتْ شَدِيدَةَ الذِّكَاءِ، مَشْغُوقَةً بِالْقِرَاءَةِ، مُغْرَمَةً مِنْذُ صِبَاهَا بِالْكَتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، فَقَرَأَتْ مِنْهَا كُلَّ مَا عَثَرَتْ عَلَيْهِ فِي مَكْتَبَةِ وَالِدِهَا مُدَرِّسِ الطَّبِيعَةِ، كَمَا كَانَتْ تَقْرَأُ قِصَصَ الْمُغَامِرَاتِ فِي وَقْتِ فَرَغِهَا، وَلَأنَّهَا كَانَتْ مُتَّفِقَةً جَادَّةً، تَكْرَهُ الْإِسْتِعْمَارَ وَتَنْفَرُ مِنْهُ - كَانِ الْمُعَلِّمُونَ يُصَدِّرُونَهَا لِتُجِيبَ عَنْ مَا



يُوجِّههُ الْمُفْتَشُّ الرُّوسِيُّ مِنْ أَسْئَلَةٍ، يَتَصَيَّدُ بِهَا أخطاءَ المُدَرِّسينَ، وَيُدَبِّرُ لَهُمُ الاتِّهامَ بِالتَّحْرِيزِ عَلَى الثَّوْرَةِ .. فَكَانَتْ «مانيا» عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّ مُدَرِّسِيهَا، تُجِيبُ عَنْ الْأَسْئَلَةِ بِبِرَاعَةٍ فائِقَةٍ، وَتُحَسِّنُ التَّخْلُصَ الرَّائِعَ مِمَّا يَنْصِبُهُ لَهَا الْمُفْتَشُّ مِنْ شِرَاكٍ، فَلَا يَمْلِكُ إِلَّا الْعَوْدَةَ خَائِبًا.

أَتَمَّتْ «مانيا» دِرَاسَتَهَا الثَّانَوِيَّةَ بِتَفَوُّقٍ بَارِزٍ، أَتَاحَ لَهَا الْحُصُولَ عَلَى وَسامٍ تَقْدِيرِيٍّ مِنَ الذَّهَبِ، وَكَانَ عُمُرُهَا لَا يَتَجَاوَزُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ. لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَلْتَحِقَ بِالْجَامِعَةِ؛ فَقَدْ كَانَتْ لَا تَقْبَلُ الْبَنَاتِ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُسَافِرَ إِلَى «باريس» لِأَنَّ مَوَارِدَ وَالِدِهَا ضَيِّقَةً، لَا تَكَادُ تَكْفِي لِحَاجَاتِ الْحَيَاةِ فِي «وارسو» فَكَيْفَ بِالسَّفَرِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ؟ لَقَدْ اضْطُرَّتْ وَالِدَتُهَا أَنْ تَعْمَلَ فِي صِنَاعَةِ الْأَحْذِيَةِ إِلَى جَانِبِ عَمَلِهَا الْأَسَاسِيِّ رَئِيسَةً لِمَعْهَدٍ تَعْلِيمِ الْبَنَاتِ؛ كَيْ تُعِينَ زَوْجَهَا فِي تَوْفِيرِ الضَّرُورِيِّ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَأْوَى لِأَبْنَائِهِمَا. الْأَمْرُ الَّذِي أَغْرَى بِهَا دَاءَ السُّلِّ فَقَضَى عَلَيْهَا، وَعَلَى ابْنَتِهِ الْكُبْرَى «صوفي»، فَخِيمَ الْحُزْنُ عَلَى الْأُسْرَةِ، وَبَسَطَتِ الْكَابَةُ عَلَيْهَا رِداءَهَا؛ وَلَكِنَّ الْأَبَّ كَانَ عَاقِلًا حَكِيمًا، فَعَمِلَ عَلَى التَّخْلُصِ مِنْ جَوْ الْحُزْنِ وَالْكَابَةِ، وَاسْتَضَافَ بَعْضَ الطُّلَّابِ فِي نِصْفِ غُرْفِ الْمَنْزِلِ، لِيُؤْمِنَ دَخْلًا مَعْقُولًا، وَدَعَا بَنَاتِهِ إِلَى اسْتِثْمَارِ الْوَقْتِ، فَكُنَّ يُعْطِينَ دُرُوسًا مُقَابِلَ أَجْرِ زَهِيدٍ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ بِطَبِئَةٍ مُتَشَاكِلَةٍ، وَالتَّحَقَّقَ «چوريف» بِكُلِّيَةِ الطَّبِّ، وَشَغِلَتْ «هيللا» بِالْغِنَاءِ وَالْمُوسِيقَا، وَبَقِيَتْ «برونيا» وَ«مانيا» تُفَكِّرَانِ فِي مُسْتَقْبَلِهِمَا، وَتَبْحَثَانِ عَنْ وَسِيلَةٍ لِلتَّغْلِبِ عَلَى مَا يَقِفُ أَمَامَهُمَا مِنْ صُعُوبَاتٍ .. إِنَّ «برونيا» تُرِيدُ أَنْ تَدْرُسَ الطَّبِّ، وَ«مانيا» تَرْغَبُ فِي دِرَاسَةِ الْعُلُومِ، وَلَا سَبِيلَ لِذَلِكَ إِلَّا بِالسَّفَرِ وَالْإِقَامَةِ فِي بَارِيسَ، وَلَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ؟ قَالَتْ «مانيا» لِأَخْتِهَا:



- «إِنَّ طَوْلَ الْإِنْتِظَارِ يَدْفَعُ إِلَى السَّامَةِ وَالْمَلَكِ، وَيُبَدِّدُ الْأَمَلَ، وَيُطْفِئُ الْحِمَاسَةَ لِلْعَمَلِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ خُطْوَةً إيجابيةً نَحْوَ هَدَفِنَا..»

قَالَتْ برونيا: «وَمَاذَا تَرَيْنَ؟»

قَالَتْ: «تُسَافِرِينَ أَنْتِ إِلَى بَاريسَ، وَتَلْتَحِقِينَ بِكَلِيَّةِ الطَّبِّ، وَتُنْفِقِينَ مِمَّا لَدَيْنَا مِنْ مُدَّخَرَاتٍ، وَأَبْحَثُ أَنَا عَنْ عَمَلٍ عِنْدَ أُسْرَةٍ ثَرِيَّةٍ، فَأَرْسِلُ لَكَ مَا أُعِينُكَ بِهِ، حَتَّى تَنْتَهِيَ مِنْ دِرَاسَتِكَ، فَيَأْتِيَ عَلَيْكَ الدَّورُ.. تَعْمَلِينَ وَتُنْفِقِينَ عَلَى حَتَّى أَنْتِ دِرَاسَتِي..»

- «وَمَاذَا أُسَافِرُ أَنَا أَوَّلًا؟»

- «لَأَنَّكَ أَكْبَرُ مِنِّي بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ..»

وَلَمْ يَمْضِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ الزَّمَنِ حَتَّى سَافَرَتِ الْأُخْتَانِ؛ سَافَرَتِ «برونيا» إِلَى بَاريسَ لِتَلْتَحِقَ بِكَلِيَّةِ الطَّبِّ، وَسَافَرَتِ «مانيا» إِلَى الرِّيفِ الْبُولَنْدِيِّ لِتَعْمَلَ مُرَبِّيةً لِلْأَطْفَالِ لَدَى أُسْرَةٍ ثَرِيَّةٍ، لِقَاءَ أَجْرٍ مَعْقُولٍ، وَقَدْ وَجَدَتْ فِي سَفَرِهَا عَتَا وَمَشَقَّةً؛ رَكِبَتِ الْقِطَارَ سَاعَاتٍ، ثُمَّ اسْتَبَدَلَتْ بِهِ عَرَبَةً زَاحِفَةً عَلَى الْجَلِيدِ سَاعَاتٍ أُخْرَى، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى بَيْتِ الْأُسْرَةِ الَّتِي سَتَعْمَلُ عِنْدَهَا. وَلَمْ تُحْسِنِ الْأُسْرَةُ مُعَامَلَتَهَا، بَلْ كَانَتْ تَقْسُو عَلَيْهَا، وَتَكْلِفُهَا مَا لَا تُطِيقُ، وَلَكِنَّهَا تَحَمَّلَتْ ذَلِكَ كُلَّهُ صَابِرَةً، فَهُنَاكَ حَافِزٌ دَاخِلِيٌّ يُعِينُهَا عَلَى الصَّبْرِ، وَيَحْتُمِلُهَا عَلَى الْبَقَاءِ وَالتَّحَمُّلِ، كَيْ تَقِيَ بِوَعْدِهَا لِأُخْتِهَا، وَتَسْتَطِيعَ هِيَ -أَيْضًا- تَحْقِيقَ آمَالِهَا.

لَقَدْ كَانَتْ «مانيا» تُرْسِلُ كُلَّ مَا تَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ إِلَى إِخْوَتِهَا وَأَبِيهَا، وَلَا تُبْقِي مِنْهُ شَيْئًا لِنَفْسِهَا، حَتَّى إِنَّهَا لَمْ



تَسْتَطِيعُ أَنْ تُبَدِّلَ ثِيَابَهَا الَّتِي بَلَبْتَ، وَلَكَمْ تَعُدُّ قَادِرَةً عَلَى
أَنْ تَقِيَهَا مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ الْقَارِسِ . . . وَمَعَ ذَلِكَ فَعَزِمَتْهَا
صَادِقَةٌ صَامِدَةٌ لَمْ تَضْعُفْ، وَهَمَّتْهَا عَالِيَةٌ نَاشِطَةٌ لَمْ
تَفْتُرْ! تَضَعُ آخِرَ طَابِعٍ لِلْبَرِيدِ تَمْتَلِكُهُ عَلَى رِسَالَةٍ
لِأَخِيهَا؛ لِتُطْمِئِنُّهُ وَتُؤَكِّدَ لَهُ أَنَّ الظُّرُوفَ وَالْأَحْدَاثَ
مَهْمَا بَلَغَتْ قَسَوَتَهَا وَشِدَّتَهَا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقْهَرَهَا
وَتَعْوِقَهَا عَنْ بُلُوغِ غَايَتِهَا!

وَلَكَمْ يَسْتَطِيعُ الْعَمَلُ الْمُضْنَى الَّذِي تَقُومُ بِهِ، وَلَا
الظُّرُوفُ السَّيِّئَةُ الَّتِي تُعَانِيهَا - أَنْ تُنْسِيَهَا أَبْنَاءَ وَطَنِهَا
الَّذِينَ حَرَمَهُمُ الْإِسْتِعْمَارُ الرُّوسِيُّ مِنَ التَّعْلِيمِ،
فَاخْتَارَتْ عِشْرِينَ صَبِيًّا وَصَبِيَّةً مِمَّنْ حَوْلَهَا،
وَرَأَتْ تَعْلِمُهُمُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ، مُعَرِّضَةً نَفْسَهَا
لِخَطَرٍ جَسِيمٍ، وَعِقَابٍ شَدِيدٍ، تُنْزِلُهُ بِهَا السُّلْطَاتُ
الرُّوسِيَّةُ إِنْ عَلِمَتْ بِخَبَرِهَا؛ فَقَدْ كَانَتْ تُطَارِدُ كُلَّ
مَنْ يُحَاوِلُ نَشْرَ التَّعْلِيمِ بَيْنَ جَمَاهِيرِ الشَّعْبِ!

ظَلَّتْ «مَانِيَا» سِتَّ سَنَوَاتٍ كَامِلَةً تُمَارِسُ عَمَلَهَا
فِي تَرْبِيَةِ الْأَطْفَالِ عِنْدَ تِلْكَ الْأُسْرَةِ الْغَنِيَّةِ، وَتَعْلَمُ
الْأَطْفَالَ الَّذِينَ حُرِّمُوا فُرْصَةَ التَّعْلِيمِ، لَمْ تَكِلْ فِي

ذَلِكَ وَلَكَمْ تَمَلُّ، حَتَّى جَاءَهَا الْخَبَرُ مِنْ أُخْتِهَا «بِروْنِيَا» أَنَّهَا قَدْ أَتَمَّتْ دِرَاسَةَ الطَّبِّ، وَتَزَوَّجَتْ مِنْ طَبِيبٍ شَابٍّ بُولَنْدِيٍّ، وَأَنَّهَا
يَعْمَلَانِ مَعًا، وَقَدْ حَانَ الْوَقْتُ لِتَبَرُّ بِوَعْدِهَا، وَتَقِيَ بِعَهْدِهَا.

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَتْ السُّلْطَاتُ الرُّوسِيَّةُ قَدْ عَرَفَتْ صَنِيعَ «مَانِيَا» فِي تَعْلِيمِ الْأَطْفَالِ، وَفَكَّرَتْ فِي عِقَابِهَا وَنَفْيِهَا مِنْ



الوطن، ولكن «مانيا» فوّتت على الاستعمار الفرصة، فحزمت أمرها، وانطلقت إلى باريس.

ترفرف عصفير الحلم في صدرها، وتزغرد الفرحة في قلبها، فقد آن الأوان لتحقيق هدفها، وإن كان ثمة شيء يكدر بهجتها، وينغص عليها فرحتها- فهو أنها ستكون عبئا على أختها وزوجها!

حطت «مانيا» رحالها في باريس، وأقامت مع أختها وزوجها، الذي كان سعيدا بها، فخورا بكفاحها، معتزا بصلابتها. وتقدمت بأوراقها إلى كلية العلوم، وكم كانت فرحتها بالغة عندما قرأت اسمها في سجل المقبولين! لقد دنا هدفها، وأن لها أن تجني ثمرة كدها!

كان الطريق من بيت أختها إلى كليتها طويلا، فكانت تركب عربة من طابقين تجرها الخيول، تجلس في الطابق الثاني وتروح تتأمل ما حولها من الأشياء، ومن حولها من الناس، وتحس حينا شديدا إلى وطنها، الذي يئن تحت وطأة الاستعمار، ويحرم الكثير من أبنائه فرصة التعليم ليقضوا حياتهم في ظلام الجهل وتعاسة الفقر! وتؤكد فيما بينها وبين نفسها أنها ستعود إليه يوما خادمة مخلصه، تسخر كل ما تعلمته في سبيله، وتبذل طاقتها من أجله.

إنها تضيق ببطء الخيول في سيرها، وترى في ذلك مضیعة لوقتها، فلتتخذ سكنا قريبا من كليتها، ولكن أختها وزوجها يجادلانها في ذلك جدالا عنيفا، ويرفضان فكرة الابتعاد عنهما رفضا قاطعا، فما زالت بهما حتى رضيا، وانتقلت «مانيا» لتعيش في غرفة ضيقة، في حي قريب من الكلية.

كانت ميزانيتها لا تتجاوز المائة فرنك في الشهر، هي ثمن الطعام والثياب، والكتب والأوراق، وأجر الغرفة، ورسم الالتحاق بالكلية. . ولكنها لم تجد في ذلك بأسا، ولم تضق به ذرعا، فبِعزميتها وإصرارها تستطيع تدبير أمرها. . كانت تسير على قدميها في ذهابها إلى الكلية وإيابها منها حتى تقتصد أجر الحافلة، وتلجأ إلى المكتبات العامة لتوفر ثمن الكتب، وثمر الوقود الذي تضيء به مصباحها، وتقضي كثيرا من أيامها لا تذوق غير الخبز والزبد!

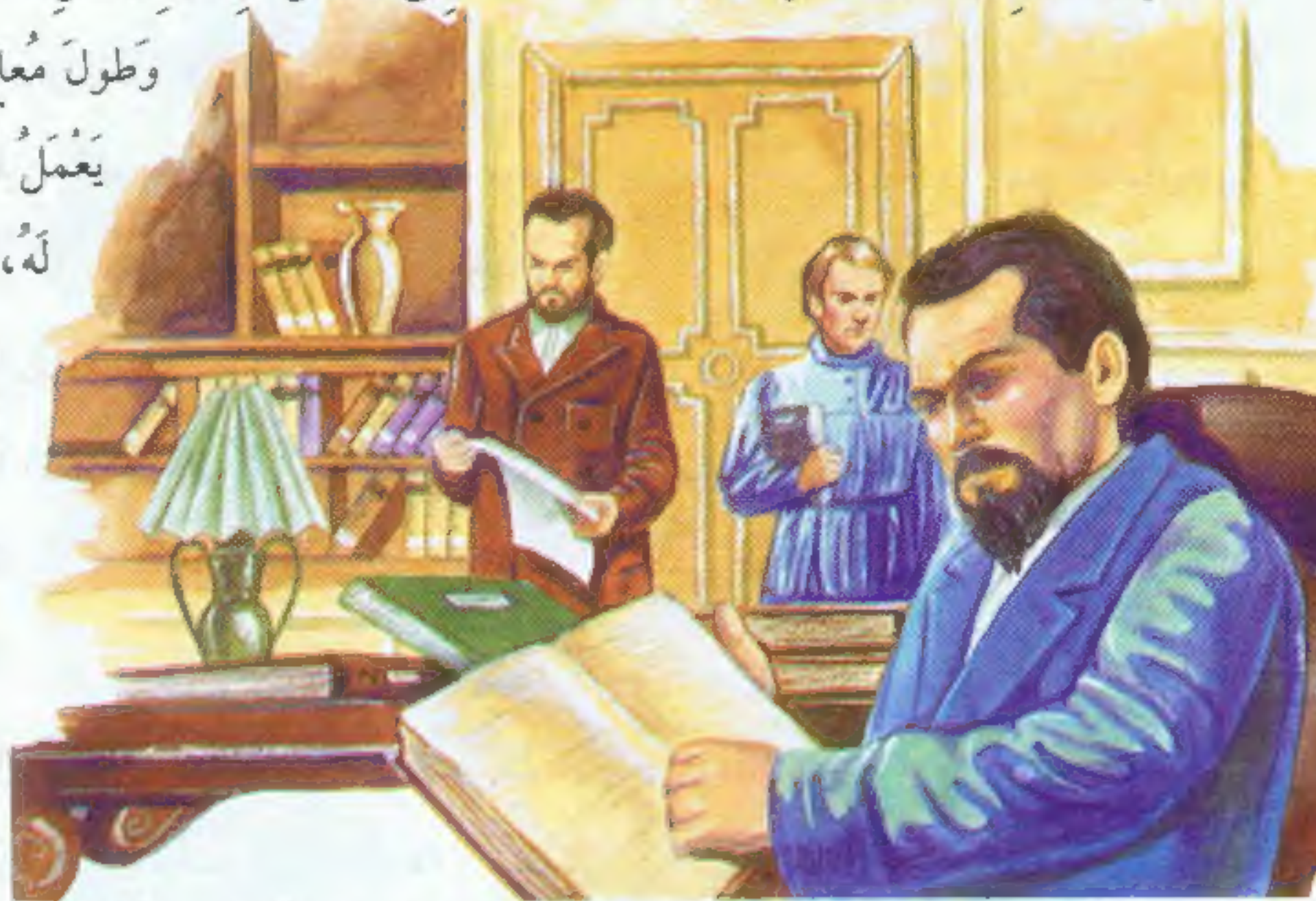
لم يكن يشغل بال هذه الطالبة البولندية شيء، غير المحاضرات والمعامل والتجارب والكتب، أما ما عدا ذلك فلم يكن يشغل حيزا كبيرا من تفكيرها.

وكان الطلاب ينظرون إليها، ويتأملون ويتساءلون عن هذه الطالبة الجادة، التي تحرص على الجلوس في المقعد الأول في الدرس، وترتدي ثيابا قاتمة قديمة، ويتوج رأسها شعر أشقر ناعم جميل.

لَقَدْ كَانَ طُمُوحُهَا رَائِعًا، وَكَانَتْ صَبُورًا عَنِيْدَةً، تَسْعَى إِلَى هَدْفِهَا بِكُلِّ مَا أُوتِيَتْ مِنْ قُوَّةٍ، حَتَّى حَصَلَتْ عَلَى دَرَجَتَيْنِ عِلْمِيَّتَيْنِ: الْأُولَى فِي الطَّبِيعَةِ عَامَ ١٨٩٣ م وَالثَّانِيَةُ فِي الرِّيَاضِيَّاتِ عَامَ ١٨٩٤ م.

قَطَعَتْ «مَارِيَا» الشُّوْطَ الْأَوَّلَ فِي تَحْقِيقِ هَدَفِهَا، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَقْنَعْ بِهِ؛ لِأَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْهُومٌ لَا يَشْبَعُ، فَرَاخَتْ تَفَكُّرُ فِي الشُّوْطِ الثَّانِي . . مَلَكَتْ لُبَّهَا الْأُبْحَاطُ وَالتَّجَارِبُ، فَكَانَ لِرِزَامِهَا عَلَيْهَا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ مَعْمَلٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُمَارِسَ فِيهِ عَمَلَهَا . . إِنَّهَا لَا تَعْمَلُ فِي إِحْدَى الْكُلِّيَّاتِ حَتَّى تَسْتَطِيعَ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ مَعَامِلِهَا، وَلَيْسَتْ غَنِيَّةً كَيْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُنْشِئَ مَعْمَلًا خَاصًّا بِهَا، فَمَاذَا تَفْعَلُ؟

عَرَفَ مُشْكِلَتَهَا أُسْتَاذُ بُولَنْدِي، كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى بَارِيسَ لِإِلْقَاءِ بَعْضِ الْمُحَاضِرَاتِ، وَكَانَ يَعْرِفُ ذَكَاءَهَا، وَقُوَّةَ تَحَمُّلِهَا، وَطَوْلَ مُعَانَاتِهَا، فَقَدَّمَهَا إِلَى أُسْتَاذٍ فَرَنْسِيٍّ صَدِيقٍ لَهُ، كَانَ يَعْمَلُ مُدِيرًا لِمَدْرَسَةِ الطَّبِيعِيَّاتِ، عَلَى أَنْ تَكُونَ مُسَاعِدَةً لَهُ، كَانَ هَذَا الْأُسْتَاذُ الْفَرَنْسِيُّ الْمَوْلِدِ وَالنَّشْأَةُ هُوَ «بِير كُورِي»، الَّذِي يَنْحَدِرُ مِنْ أُسْرَةٍ عُلَمَاءَ مُتَمَيِّزِينَ، وَيَلْفِتُ النَّظَرَ بِهَدْوِيَّةٍ وَذَكَائِهِ اللَّمَّاحِ، وَشَخْصِيَّتِهِ الَّتِي تُوحِي بِالثِّقَةِ وَالْأَمَانِ، فَلَمْ يَمُضِ عَامٌ وَاحِدٌ حَتَّى تَأَلَّفَ قَلْبَاهُمَا، وَأَصْبَحَا زَوْجَيْنِ، وَاتَّخَذَتْ اسْمَهُ - كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْغَرْبِيَّةِ - وَغَدَا اسْمُهَا «مَارِي كُورِي».



لَمْ تَكُنْ «مَارِي» تَمْلِكُ ثَوْبًا لِلزَّفَافِ، فَلَيْسَ عِنْدَهَا غَيْرُ ثَوْبِ الْمُخْتَبِرِ، فَطَلَبَتْ مِنْ وَالِدَةِ زَوْجِهَا أَنْ تَمْنَحَهَا ثَوْبًا، تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَوِّلَهُ بَعْدَ الزَّفَافِ إِلَى ثَوْبٍ عَادِيٍّ، يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ. وَلَكِنَّ أُخْتَهَا «بِرُونِيَا» أَسْرَعَتْ فَأَحْضَرَتْ خِيَاطَةً وَقُمَاشًا كُحْلِيَّ اللَّوْنِ، وَصَنَعَتْ «لِمَارِي» ثَوْبًا، كَانَتْ فِيهِ آيَةٌ فِي الْأَنَاقَةِ وَالْبَسَاطَةِ، كَمَا كَانَتْ تَرِفُّ عَلَى وَجْهِهَا السَّعَادَةُ، وَتُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهَا الْهَنَاءُ!

وَكَانَ مِنْ بَوَاعِثِ سَعَادَتِهَا أَنْ حَضَرَ وَالِدُهَا حَفْلَ زَوَاجِهَا، وَقَدْ تَحَدَّثَ إِلَى وَالِدَيْ «بِير»، وَقَالَ لَهُمَا:

- «إِنَّ مَارِي سَوْفَ تَكُونُ جَدِيرَةً بِمَحَبَّتِهِمَا، وَرِضَاهُمَا؛ فَهِيَ مِنْذُ وَلِدَتْ لَمْ تُسَبِّبْ لَهُ تَعَبًا وَلَا مَشَقَّةً!».

وَبَدَأَتْ حَيَاةُ الزَّوْجَيْنِ الْعَالَمَيْنِ فِي شَقَّةٍ مُتَوَاضِعَةٍ، وَأَنْطَلَقَا فِي مَيْدَانِ الْأُبْحَاثِ
وَالْتَجَارِبِ فِي مَجَالِ الْعُلُومِ، يُرَفِّفُ بَيْنَهُمَا الْحُبُّ السَّامِي، وَتَجْمَعُهَا
الْمَوَدَّةُ الْخَلَاقَةُ، الَّتِي تُحَوِّلُ الْفِكْرَ إِلَى طَاقَةٍ فِعْلٍ بَعِيدَةِ الْمَدَى.

وَكَانَ «بِير» قَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْصُلَ مِنْ مَدْرَسَةِ الطَّبِيعِيَّاتِ
عَلَى إِذْنِ بِاسْتِخْدَامِ مَخْزَنِ صَغِيرٍ فِي الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ لِيَكُونَ
مَعْمَلًا لَهُمَا.

وَبَدَأَتْ «مَارِي كُورِي» تَجَارِبَهَا فِي هَذَا الْمَخْزَنِ الَّذِي يُشْبِهُ
مِفَارَةً رَطْبَةً حَقِيرَةً، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَضِقْ بِهِ، وَلَمْ تَنْفِرْ مِنْهُ، بَلْ
وَجَدَتْ فِيهِ أَمَلًا وَمُتَسَعًا، وَشَرَعَتْ تَجِدُّ فِي الْبَحْثِ مِنْ حَيْثُ
انْتَهَى عَالَمٌ قَبْلُهَا هُوَ الْأُسْتَاذُ «هَنْرِي بِيكْريل» الَّذِي كَانَ عَلَى
مَعْرِفَةٍ بِهَا وَبِزَوْجِهَا.

تَلَقَّيَتْ «مَارِي» مَا تَحَدَّثَ بِهِ «هَنْرِي» مِنْ مَلَا حِظَاتِهِ عَنِ
الْإِشْعَاعَاتِ الَّتِي تَنْبَعِثُ مِنَ «الْيُورَانِيُومِ» مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا، وَأَنَّ
هَذِهِ الْإِشْعَاعَاتِ أَقْوَى تَأْثِيرًا مِنَ «الْيُورَانِيُومِ» ذَاتِهِ، فَلَعَلَّ فِيهَا
عَنْصَرًا آخَرَ . . وَرَاحَتْ تَعْمَلُ مَعَ زَوْجِهَا، بِجِدٍّ وَثَبَاتٍ، عَمَلًا مُرْهِقًا

مُضْنِيًا، كَانَتْ «مَارِي» تَقْضِي الْيَوْمَ كُلَّهُ فِي تَحْرِيكِ كُتْلِ «الْيُورَانِيُومِ» بِقَضِيبٍ مِنَ الْحَدِيدِ فِي أَثْنَاءِ غَلْيَانِهَا، وَكَانَتْ الْأُبْخَرَةُ
الْمُتَّصَاعِدَةُ تُحَوِّلُ الْمَكَانَ إِلَى جَحِيمٍ، فَالْدُّخَانُ اللَّاذِعُ يُلْهَبُ الْحَلْقَ وَالْعَيْنَ، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَمَرَّ الزَّوْجَانِ فِي شَجَاعَةٍ فَائِقَةٍ،
وَصَبْرٍ مُسْتَمِيتٍ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، لَمْ يَفْقِدَا الْأَمَلَ، وَلَمْ يَقْطَعَا الرَّجَاءَ، حَتَّى كَانَ يَوْمٌ.

شَعَرَ الزَّوْجَانِ بِالْإِرْهَاقِ الشَّدِيدِ، فَآثَرَا أَنْ يَمْضِيَا إِلَى بَيْتِهِمَا الْمُتَوَاضِعِ؛ لِيَنَالَا قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ، وَلَمْ يَلْبَثَا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى
دَفَعَهُمَا إِحْسَاسٌ غَامِضٌ إِلَى الْعُودَةِ إِلَى الْمَعْمَلِ، وَمَا إِنَّ دَخَلَتْ «مَارِي» حَتَّى صَاحَتْ:

- «بِير، لَا تُشْعِلِ الْمِصْبَاحَ!»

ثُمَّ أَضَافَتْ فِي مَرَحٍ طُفُولِيٍّ، وَبَهْجَةٍ فَائِقَةٍ:



- «لَقَدْ كُنْتُ أَتَوَقَّعُ دَائِمًا أَنْ يَكُونَ لَوْنُ «الرَّادِيومِ» جَمِيلًا! أَنْظُرُ...»

لَقَدْ كَانَ الْاِكْتِشَافُ ! كَانَ الْحَدَثُ الَّذِي انْتَضَرَاهُ طَوِيلًا يُشْعُّ مِنْ إِحْدَى زَوَايَا الْمَعْمَلِ.

أَعْلَنَ الزَّوْجَانِ الْعَالِمَانِ اِكْتِشَافَ عُنْصُرِ «الرَّادِيومِ»، وَهُوَ عُنْصُرٌ أَيْضٌ شَدِيدُ اللَّمْعَانِ، تَنْبَعِثُ مِنْهُ إِشْعَاعَاتٌ قَوِيَّةٌ شَدِيدَةٌ التَّأْثِيرِ فِي الْأَجْسَامِ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لَهَا، وَتَزِيدُ قُوَّتَهَا عَنْ قُوَّةِ الْإِشْعَاعَاتِ الَّتِي تَصْدُرُّ عَنْ «الْيُورَانِيومِ» مَا يَقْرُبُ مِنْ مِليُونِ مَرَّةٍ، وَهُوَ الْعُنْصُرُ الَّذِي تُصْنَعُ مِنْهُ الْقَنْبَلَةُ الذَّرِّيَّةُ.

تَقَبَّلَ الْعَالَمُ نَبَأَ هَذَا الْاِكْتِشَافِ بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنْهَالَتْ الدَّعَوَاتُ عَلَى الزَّوْجَيْنِ الْعَالِمَيْنِ لِإِلْقَاءِ الْمُحَاضَرَاتِ فِي الْجَامِعَاتِ وَالْجَمْعِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَاسْتَقْبَلَهُمَا رُؤَسَاءُ الدُّوَلِ الَّتِي شَرَفَتْ بِزِيَارَتِهِمَا.

وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ حَصَلَتْ «مَارِي» عَلَى دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاهِ سَنَةَ ١٩٠٣م، وَعَيَّنَ «بِير» أَسْتَاذًا فِي كَلِّيةِ الْعُلُومِ بِجَامِعَةِ (السَّرْبُونِ بِبَارِيسِ)، وَعَيَّنَتْ «مَارِي» مُسَاعِدَةً لَهُ، وَحَصَلَا مَعًا عَلَى جَائِزَةِ «نُوبَل» فِي الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَمَعَهُمَا الْعَالِمُ «هَنْرِي» الَّذِي دَلَّ «مَارِي» عَلَى اتِّجَاهِ الْأَبْحَاثِ لِاِكْتِشَافِ «الرَّادِيومِ».

وَحِينَئِذٍ وَدَعَ الْعَالِمَانِ الْمَخْزَنَ الْمَعْمَلِ الصَّغِيرَ الْمُتَوَاضِعَ، الَّذِي مَارَسَا فِيهِ أَشَقَّ الْأَعْمَالِ وَأَصْعَبَهَا، مِنْ حَمْلِ الْمَعَادِنِ وَالْوُقُودِ إِلَى دَاخِلِهِ، وَإِشْعَالِ النَّارِ فِي الْمَوْقِدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمَا

-كَمَا تَقُولُ مَارِي- عَاشَا فِيهِ أَسْعَدَ سِنِي حَيَاتِهِمَا

وَأَجْمَلَهَا، وَقَضَيَا فِيهِ أَيَّامَهُمَا فِي عَمَلٍ خَالِصٍ،

فَكَانَتْ تُعَدُّ الطَّعَامَ فِيهِ حَتَّى لَا تَقْطَعَ مُلَاحَظَةً تَجْرِبِيَّةً

هَامَةً، وَكَانَتْ تُمَضِي النَّهَارَ كُلَّهُ تُحَرِّكُ سَائِلًا يَغْلِي

بِعَمُودٍ مِنَ الْحَدِيدِ، يَكَادُ طَوْلُهُ يَبْلُغُ طَوْلِهَا ١٠٠

تَفْتَحَتْ أَبْوَابُ الْمَجْدِ وَالشُّهْرَةِ أَمَامَ «مَارِي

كُورِي»، وَلَكِنَّهَا ظَلَّتِ الْإِنْسَانَةَ الْعَالِمَةَ

الْمُتَوَاضِعَةَ، الَّتِي تَضِيقُ بِالشُّهْرَةِ، وَتَنْفِرُ مِنَ

الصَّحَافَةِ، وَتَوَدُّ أَنْ تَخْتَبِئَ مِنْهَا تَحْتَ الْأَرْضِ،

كَمَا كَتَبَتْ لِأَخِيهَا «جُوزيف» فِي ذَلِكَ الْحِينِ.



لَقَدْ حَضَرْتُ حَفْلًا أَقِيمَ لِاسْتِقْبَالِهَا وَزَوْجِهَا فِي لَنْدَنَ، وَكَانَتْ تَرْتَدِي ثَوْبًا أَسْوَدَ بَسِيطًا، وَكَانَتْ نِسَاءُ الْحَفْلِ يَرْتَدِينَ ثِيَابًا فَاخِرَةً، وَحَلِيًّا نَادِرَةً، فَقَالَتْ لِرَوْجِهَا حِينَ رَجَعَا إِلَى غُرْفَتِهِمَا:

- «أَتَدْرِي مَا الَّذِي كَانَ يَشْغَلُنِي طَوْلَ وَقْتِ الْحَفْلَةِ؟ لَقَدْ كُنْتُ أُحَاوِلُ تَقْدِيرَ ثَمَنِ الْمُجَوْهَرَاتِ الَّتِي يَتَزَيَّنُ بِهَا النِّسَاءُ اللَّاتِي حَضَرْنَ الْحَفْلَ، وَكَمْ مَعْمَلًا يَتَسَنَّى لَنَا أَنْ نُنْشِيَ بِثَمَنِهَا...؟»

لَقَدْ كَانَ كُلُّ تَفْكِيرِهَا وَتَفْكِيرِ زَوْجِهَا مَحْصُورًا فِي الْعِلْمِ وَتَسْخِيرِهِ لِعِخْدَةِ الْإِنْسَانِ، فَعِنْدَمَا عَرَضَتْ الْمَصَانِعُ وَالشَّرِكَاتُ الْقِيَامَ بِإِنْتِاجِ عُنْصُرِ «الرَّادِيُومِ»، وَاسْتِثْمَارِهِ لِصَالِحِهِمَا؛ فَهُمَا الْوَحِيدَانِ اللَّذَانِ يَعْرِفَانِ أَسْرَارَهُ - رَفْضًا ذَلِكَ رَفْضًا حَاسِمًا، وَاعْتِبْرَاهُ مَلِكًا لِلْبَشَرِيَّةِ، وَكَانَ أَخَوْفَ مَا يَخَافَانِهِ أَنْ يَقَعَ فِي يَدِ خَبِيثَةٍ تَسْتَغْلِلُهُ فِي التَّخْرِيبِ وَالتَّدْبِيرِ، وَلِذَلِكَ سَارَعَا بِإِرْسَالِ أَسْرَارِهِ إِلَى كُلِّ مَنْ يَطْلُبُهَا، حَتَّى تَكُونَ مُتَشِيرَةً فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، وَلَيْسَتْ حِكْرًا عَلَى أَحَدٍ!

وَفِي غَمْرَةِ الْفَرَحِ جَاءَهَا الْحُزْنُ يَسْعَى سَعْيًا حَثِيثًا سَرِيعًا؛ فَقَدْ كَانَ زَوْجُهَا «بِير» خَارِجًا مِنْ كُلِّيَةِ الْعُلُومِ بَعْدَ اجْتِمَاعِ عِلْمِيٍّ، وَكَانَ الْجَوُّ مُمَطَّرًا، وَبَيْنَمَا كَانَ يَعْبُرُ الطَّرِيقَ صَدَمَتْهُ عَرَبَةٌ ضَخْمَةٌ تَجْرُهَا الْخُيُولُ، فَحَاوَلَ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِعُنُقِ أَحَدِهَا، وَلَكِنْ قَدَمُهُ زَلَّتْ فَوْقَ الْأَرْضِ الْمُبْتَلَّةِ، وَمَرَّتْ عَلَيْهِ الْخُيُولُ، وَأَجْهَزَتْ عَلَيْهِ شَاحِنَةٌ كَانَتْ تَحْمِلُ مَلَابِسَ لِلْجُنُودِ!

صَدَمَتْ «مَارِي» صَدَمَةً قَاسِيَةً، فَقَدْ فَقَدَتْ الزَّوْجَ وَالرَّفِيقَ وَالْعَالِمَ وَالزَّمِيلَ، وَاعْتَصَرَ الْحُزْنَ قَلْبَهَا، وَكَادَ يُوْدِي بِهَا، لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَتْهَا رَحْمَةُ اللَّهِ، فَاسْرَعَتْ إِلَيْهَا أُخْتُهَا «بَرُونِيَا» تُعِينُهَا فِي مُحِيطِهَا، وَتَأْخُذُ بِيَدِهَا لِتَخْرِجَ مِنْ صَوْمَعَةِ حُزْنِهَا، وَكَانَ أَوَّلُ ظُهُورِ لَهَا حِينَ وَقَفَتْ مَكَانَ زَوْجِهَا، حَيْثُ جَلَسَتْ عَلَى مَقْعَدِ الْأُسْتَاذِيَّةِ الَّذِي خَلَا بِوَفَاتِهِ، وَبَدَأَتْ أُولَى مُحَاضَرَاتِهَا مِنَ النُّقْطَةِ الَّتِي وَقَفَ عِنْدَهَا زَوْجُهَا، وَكَانَتْهَا تَتْلُو وَصِيَّتَهُ:



- «يا ماري، إذا حدثَ لأحدنا مكروهٌ فعلى الثاني أن يستمرَّ في الطريق، ويتابع المسيرة...!»

وأثارَ ظهورُها فوقَ هذه المنصَّة العلميَّة الاهتمامَ؛ إذ كانتُ أولَ امرأةٍ تقفُ فوقَها في جامعةٍ السوربون !

واصلتُ «ماري كوري» المسيرة العلميَّة، وأهدتها أكاديمية العلوم في «استكهولم» جائزة «نوبل» للمرَّة الثانية سنة ١٩١١م، تقديرًا لإنجازاتها المنفردة بعد موت زوجها، وكانت الوحيدة التي حصلتُ على الجائزة مرتين! ولكنَّ ذلكَ لم يغيِّر من طبيعتها الإنسانيَّة المتواضعة، ولم يجعل الغرور يملأ نفسها، ويخدعها عن واجبها إزاء الإنسانيَّة، فاجتهدت في دراسة التطبيقات الطبيَّة لاكتشافها، وتسخيرِه في علاج الأمراض التي تفتكُ بالإنسان. وتمَّ إنشاءُ معهدِ الراديوم في باريس، الذي تطوَّرَ تطوُّراً نافعاً، وسعتُ إلى إنشاءِ معهدٍ آخرَ في بلادها

الأصليَّة «بولندا»، وتمَّ افتتاحُه سنة ١٩٢٥م، وأصبحتُ أختها «برونيا» مديرةً له. ولا تزالُ الإنسانيَّةُ تجني ثمرَةَ جهدِ العالمَةِ «ماري كوري» إذ تستخدمُ «الراديوم» في علاج السرطان!

ويبدو أنَّ «ماري» لم تكن تُحبُّ لراية العلم أن تسقط، ولا لرسالتها أن تنتهي بانتهاء حياتها، فأعدتُ ابنتها الأولى «إيرين كوري» لتكملَ الرسالة، فقامتُ بها على خير وجه، حتَّى إنَّ منجزاتها لا تقلُّ عظمتَ وثراءَ عن منجزاتِ أمِّها، ممَّا حملَ الأكاديمية السويديَّة على أن تمنحها جائزة نوبل كذلك سنة ١٩٣٥م. أمَّا ابنتها الثانية «إيف» فقد اتَّجَّهتُ إلى الأدب، وكتبتُ سيرةَ أبيها.

وفي الرابع عشرَ من يوليو عام ١٩٣٤م ودَّعتُ «ماري كوري» الحياة، بعدَ مرضٍ شديدٍ بسببِ تعرُّضِها المستمرِّ لإشعاعاتِ الراديوم، ذلكَ العنصرُ الذي أكسبها المجدَ والفخارَ.

كانَ السببُ المُباشرُ في وفاتها. وقبلَ أن يهيلُوا عليها التُّرابَ نثرتُ عليها أختها «برونيا» حفنةً من تُرابِ وطنِها الحرِّ

«بولندا» !



هذه السلسلة في أسلوبها القصصى الشائق، ولغتها السهلة الرائقة، تبرز دور المرأة على مر التاريخ الإنسانى فى مجالات الحياة المختلفة، من خلال نماذج بأهرة قهرت الصعاب التى اعترضتها، وتخطت العقبات التى وقفت فى طريقها حتى بلغت غايتها، وأجرى الله الخير على يديها للإنسانية كلها، فكانت القمة والقدوة فى آن واحد.

عناوين السلسلة :

زبيدة - فلورانس نابتجيل

بلقيس - هيلن كيللر

مارى كورى - مازيا مونشورى

سليم ٥ ش جزيرة العرب - المهندسين - القاهرة - ص ب : ٤٢٥ الدقى

ت : ٣٣٧٩٧٥٢ - ٣٣٥٣٧١١ - ٣٣٥٣٧١٢ - ٣٤٩٤١٣٩ فاكس : ٣٤٨٠٢٩٩